



ليس هناك ما هو أشد خطرا على العاملين في الشأن العام من الثقة بغيرهم. في السياسة، الثقة بالغير مصيدة يقع فيها الذين يجهلون قيمة المبادئ، باعتبارها مسائل تحتمل الشك، كما تحتمل اليقين، فإن رأينا فيها اليقين وحده سقطنا في بلاهة الغفلة، وافتقرنا إلى مناعة الشك التي يجب أن تعين حجم ثقتنا بالآخرين وجدواها، وخصوصا الذين نحبهم منهم، لأنهم بثقتنا بهم يكونون أقدر الناس على خداعنا وخيانتنا .

تنقل القضية السورية اليوم من طور تم فيه تجاهل القرارات الدولية، من خلال تفاهمات جرت في اجتماعات أستانة، وأنتجت اتفاقيات خفض التوتر بضمانت روسيّة/إيرانية/تركية، إلى طور جديد من تفاهمات جديدة، تبطل القرارات الدولية وعملية السلام نهائياً ومن أساسها، وتدور حول :

- تفاهم روسيا وإيران وتركيا: الدول المتخوفة من سياسة الانخراط الأميركيّة التي أعلنت عنها "لا ورقة تيلرسون"، وزير خارجية الولايات المتحدة، على حل نهائي، في صورة تقاسم وظيفي في سوريا، يتم تحت إشراف روسي، بحيث تكون هناك منطقة تركية، تدار بالتفاهم مع الكرملين، ومنطقة روسية تدار عسكريا وسياسيا بالتفاهم مع إيران، بينما تترك منطقة شرق الفرات الأميركيّة يعتقد صغار العقول أنها تتوضع فيها من أجل ثرواتها، ولا يرون أنها بديل العراق الاستراتيجي الذي لن يتخلى عسكراً واسطلاع عنده في أمد قريب، بسبب موقعه المتحكم بتركيا وإيران والخليج وشرق المتوسط الذي يتيح لهم الانتقال الفاعل إلى معركة ضد إيران، في حال قرروا خوضها، ويعطيهم القدرة على التلاعب بالأوضاع الداخلية لإيران وتركيا وسوريا والعراق، بواسطة الورقة الكردية التي لا يعرف أحد إلى اليوم مآلها النهائي، وكيف ستستخدم، علماً أن تمرير المخطط الروسي/الإيراني/التركي لن يزعج البيت الأبيض، إذا كان لن يأخذ صورة تحالفٍ يلزم الدولتين بالوقوف إلى جانب طهران، لمنع إخراجها من المشرق العربي .

- فهم الروس درس المؤتمر السوري الذي عقدوه في سوتشي، وأيقنوا أن حلم المنفرد مستحيل، لافتقارهم إلى أوراقه، وتعارضه مع القرارات الدولية، بما في ذلك قرار مجلس الأمن 2254: قرأتهم التي زوروا من خلالها وثيقة جنيف وقرار مجلس الأمن 2118، واستخدموه طوال العام الماضي، لقطع الصلة بين ما ينفذونه على الأرض والوثيقة والقرار اللذين يعترفان، بكل وضوح وصراحة، بحق الشعب السوري في التخلص من بشار الأسد ونظامه، والانتقال إلى النظام الديمقراطي. قررت موسكو تطبيق حل مضاد للقرارات الدولية، يتم تحت إشرافها، على أن تورط تركيا فيه، وتعاون مع طهران في بلورة دور جديد لها، يبقى على وظيفته العسكرية/ الأمنية بالقدر الذي ستحتاج موسكو إليه، يضع حرسها الثوري وجموعه مرتفقتها تحت تصرفها، ويجنبها المصير الأفغاني عن طريق تقييد تكلفة حربها البشرية .

سيريح هذا الحل روسيا من حمل العبء الأكبر من المسألة السورية بمفردها، وسيقنع أقوى دولتين إقليميتين في الشرق الأوسط بالتحالف معها، والدفاع عن مصالحها وموافقها، وسيضاعف التحدي الذي ستواجهه واشنطن، في حال قررت إيجاد حل يطبق وثيقة جنيف وقراري مجلس الأمن 2118 و2254، وسيخربها بين متابع الارتطام المكلف بالقوى الثلاث وتركها تنعم بشمس الجزيرة وموقعها الاستراتيجي الذي لن ينزعها عليه أحد، ما دام وجود عسكرها فيها يتكامل مع وجود عسكر روسيا في غيرها من مناطق سوريا، و يجعل منها المنطقة الثالثة من مناطق التقاسم الوظيفي الذي ستخضع سوريا له، بعد القضاء على الفصائل، عدا الموجدة في المنطقة التركية التي ستستخدم قوات رديفة لجيش أنقرة، ولم يعد دورها الرئيس القتال من أجل الثورة أو في إطارها. في هذا الوضع، سيكون الأسد جحش الفداء الذي سيقدم ترضية للسوريين، وسيتمكن التحلي عنه ورميه، بينما سيقبل ما سيبلق من نظامه هذا الحل، على الرغم من أنه سينقله من تحت إبط بوتين إلى تحت حذائه .

- سيضع الحل الروسي حدا للقرارات الدولية وللحقوق التي تكفلها للسوريين، وسينهي نهائيا الحاجة إلى مفاوضات سلام، كانت روسيا وإيران قد عطلتها ستة أعوام، غزت روسيا وإيران خلالها بلادنا، وفتكتا بشعبها أشد الفتك؛ ودمرتا عمرانها. هل ستقاوم واشنطن إلغاء القرارات الدولية، والحل الروسي/ الإيراني/ التركي؟ أعتقد أنها لن تفعل، في حال تعاونت موسكو، كما هو منظر ومؤكد، في حماية أمن إسرائيل، وحضرت دورها في سوريا بالعلاقات العادلة التي تقوم عادة بين دول مستقلة، وأنهت دورها العسكري/ الأمني، في ما لا يحتاج الكرملين إليه منه، وآثرت البقاء على الحياد، حيال سياسات واشنطن من طهران. إلى هذا، لا يحول الحل الروسي دون تحسين العلاقات الأميركي/ التركية، إن أراد البيت الأبيض ذلك، ولا يحول دون استخدامه الورقة الكريية للضغط على أنقرة، ومن دون أن تضر ضغوطها بموقع موسكو في سوريا، أو تثير مشكلة بينها وبين واشنطن، حتى في حال رغبت الأخيرة في تقليل علاقات الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان بنظيره الروسي فلاديمير بوتين، لأنها ستستهدف الأول، لا الأخير .

- تقفالي اليوم في مواجهة هذا الحل غوطة دمشق الشرقية، وجزء من ريف دمشق الجنوبي، وريف حمص الشمالي، ومحافظات الجنوب. هذه المناطق خاضعة جميعها لضمادات روسية/ إيرانية، وتاليا لغدر روس/ إيراني، نراه في التحضيرات للهجوم الحاسم على الغوطة، والإذار الذي وجهه ضباط روس كبار إلى ريف حمص الشمالي وحوران، ونصه باختصار: قبول استبدال اتفاقيات خفض التصعيد بمصالحات وطنية مع الأسد، أو الحرب الشاملة والإبادية. يعني هذا أن الهجوم على الغوطة جزء من حرب التصفية النهائية للفصائل خارج المنطقة التركية التي سيعيد القضاء عليها إلى السيطرة الروسية والإيرانية، بالشروط التي ذكرتها، أي أن معركة الغوطة لن تكون آخر المعارك، ومشاركة المناطق المهددة في الدفاع عنها هو، في العمق، دفاع عن نفسها وعن مواطنها، والمحافظة على الغوطة الشرقية ستكون صعبة ومكلفة جدا، إلا أنها ستعني فشل المخطط الروسي، وبداية انتصار الثورة وخروج سوريا من محنتها. بكلمات أخرى: لا مفر من فتح النار بأسلحة جميع مقاتلي المناطق التي تتبرج اليوم على ذبح الغوطة، وستذبح غدا بالسكين التي تستخدماها روسيا وإيران في

الغوطه اليوم، فلا عذر لمن يقف جانباً، من أقصى شمال وطننا إلى أقصى جنوبه، ومن شرقه إلى مغربه، ولتهب جميع القوى إلى القيام بواجبها من دون تردد أو إبطاء، ولتخوض معركة إنقاذ الثورة اليوم، كي لا تخوض معارك هزيمتها غداً، بعد الغوطه، وليدرك أصحاب القرار في الفصائل أن فشل روسيا وإيران في كسر شوكة الغوطه لن يجنبهم المصير الأسود الذي ينتظرونهم، ما دام فشلهم أمام أبطال الغوطه سيدفعهم إلى تغطيته بانتصاراتٍ يحققونها خارجها، في الأمكنه التي ما تزال بيد الفصائل، فالغوطه لا تدافع عن نفسها اليوم، بل هي تستميت في الدفاع عنهم، وعن الشعب السوري في كل مكان داخل الوطن وخارجـه. ول يكن معلومـاً أن منـع المعـتـدي الروـسي منـ استـهـادـ بـقـيـةـ منـاطـقـ الثـورـةـ وـقـواـهـاـ سـيـتـوقـفـ عـلـىـ حـجـمـ الـهـزـيمـهـ الـتـيـ سـتـنـزـلـهـ بـهـ قـوـيـاـ الـفـصـائـلـ الـمـقـاتـلـهـ،ـ بـتـأـزـرـهـاـ فـيـ الـمـعـرـكـةـ الـفـاـصـلـةـ الـدـائـرـةـ الـيـوـمـ فـيـ الـغـوطـهـ،ـ وـبـاـنـتـقـالـهـاـ مـنـ التـبـعـثـرـ وـالـتـشـتـتـ إـلـىـ وـضـعـ جـدـيدـ وـنـوـعـيـ،ـ مـنـ إـلـجـارـ بـمـكـانـ أـنـ تـنـفـكـ أـوـ تـتـرـاـخـ عـرـاـهـ بـعـدـهـ،ـ مـاـ دـمـنـاـ فـيـ مـعـرـكـهـ سـيـتـوقـفـ مـصـيرـ وـطـنـنـاـ وـشـعـبـنـاـ،ـ وـمـصـيرـ كـلـ فـرـدـ مـنـاـ،ـ عـلـيـهـاـ.ـ وـلـاـ خـيـارـ لـنـاـ غـيرـ الـانتـصـارـ فـيـهـ،ـ إـنـ كـنـاـ نـرـيدـ أـلـاـ نـبـادـ وـنـذـلـ عـقـودـ كـثـيرـةـ مـقـبـلـهـ .ـ

- لم يعد لدينا اليوم من نعتمد عليه غير أنفسنا. هذا ما كان واضحاً بعد أشهر الثورة الأولى، وما دفعنا ثمناً فادحاً لتجاهله، فهل نتصرفُ، أخيراً، بوعي من هذه الحقيقة التي تفتقأ العين، وكلفنا ابتعادنا عنها مئات الآف الشهداء ودمار معظم وطننا، أم نواصل الرضوخ للغفلة التي قوّضت تماماً ثقة قطاعات واسعة من شعبنا بعدلة مطالبه، ونخلص من أي طرفٍ يغذى انقساماتنا أو يغدر بنا مثل "داعش" وجبهة النصرة: الاحتياطي الميداني للذين يهاجمون الغوطه اليوم، ويتجاهلون، في المقابل، دواعش الحجر الأسود والمخيم، ويصفون ضاحية دمشق الجنوبية وحوران، لحمايتهم من الثوار، والإبقاء على شرورهم .ـ

- يطالب وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، الدول، وخصوصاً منها تركيا، بإقامة علاقات وإجراء مفاوضات مع الأسد، ويتحدث وكأن قرار الكرملين بالحسن قد نفذ، أو كان الثورة هزمـتـ،ـ وـأـنـتـهـيـ أـمـرـهـ.ـ يـتـحدـثـ لـافـرـوـفـ وـكـأـنـنـاـ دـخـلـنـاـ زـمـنـ ماـ بـعـدـ ثـورـةـ الـحـرـيةـ،ـ لـيـكـنـ جـوـابـنـاـ:ـ بـلـ إـنـنـاـ فـيـ الطـرـيقـ إـلـىـ زـمـنـ ماـ بـعـدـ النـظـامـ وـالـاحـتـلـالـيـنـ،ـ الـرـوـسـيـ وـالـإـرـانـيـ،ـ زـمـنـ الشـعـبـ الـذـيـ قـرـرـتـ إـيـادـتـهـ،ـ وـقـرـرـ مـوـاـصـلـةـ سـيـرـهـ إـلـىـ حـرـيـتـهـ وـكـرـامـتـهـ،ـ عـلـىـ جـثـةـ أـوـهـامـكـمـ .ـ

المصادر: